

ثنائية العنف والحداثة في مآيا الفكر العربي المعاصر طه عبد الرحمان نموذجاً

The dichotomy of violence and Modernity Reflected in Arab intellectual thought:

Taha Abder rahman as a case study

سعاد سحنون^{1*}¹ محمد ملين دباغين سطيف 2 (الجزائر)، Sahnon.souad.d4an@gmail.com

مخبر المجتمع الجزائري المعاصر

تاريخ النشر: 2026/06/12

تاريخ القبول: 2026/04/15

تاريخ الاستلام: 2025/03/23

ملخص:

نسعى من خلال هذا المقال البحثي تسليط الضوء، على ماهية العنف وتداعياته، وتأثيراته على الأمم من منظور الفيلسوف " طه عبد الرحمن"، والحداثة وتناقضاتها من وجهة نظر عربية إسلامية، وكيف يمكن للإنسان تجنب العنف كمقولة وجدت مع الإنسان.

فينطلق البحث من تساؤل معرفي عميق، يتجلى في مدى إمكانية تجاوز الإنسان العربي للحداثة كمعطى غربي، لتتوافق وخصوصية التفكير العربي، وفضح ترسبات الحداثة الغربية ودحض مرتكزاتها، التي لا تندجم ومعطيات التفكير العربي الإسلامي، وذلك للتأسيس لفكر أصيل يتكئ على أسس معتقة نابعة من مجال تداولي إسلامي محض، اقتضت الحاجة المعرفية لتوظيف المنهج التحليلي النقدي بغية تفكيك حيثيات الموضوع، ودراسته، للوصول إلى المبتغى الحقيقي لعملية البحث.

كلمات مفتاحية:

العنف، الثقافة، الحداثة، المرجعية الإسلامية، الحوار.

Abstract:

In this article, we point out the nature of violence, its repercussions and its effects on nations at the point of view of philosophies Taha Abdel Rahman, as if modernity and its contradictions at the point of view of Arab-Islam. We also refer to commenting on human beings as a result of violence, a concept that almost always exists in human beings.

* المؤلف المرسل: د. سعاد سحنون

This will suggest a response to a cognitive question that appears from the Arabic capacity to transcend the modernity while you don't have an occasion, to understand the specification of the Arab pens, to discover other aspects of the modern occupation and others. Refuter these fondements, incompatibles with the doneness of the Arab-Islamic pen, and find an authentic pen that applies to old fondements that are from pure Islamic discourse. This may be necessary to detect a critical analytical method to decorate and study the aspects of the subject, until the veritable object of the search.

Keywords: Violence ; Culture ; Modernity ; Islamic Reference ; Dialogue.

مقدمة:

لا شك وأننا نعيشُ في زمنٍ تكثر فيه التناقضات والمغالطات، فمن ناحية دُعاة الحداثة، الحاملين للأنوار، ومن جهة أخرى دعاة التمسك بالماضي، الرافضون لتحديث نمط حياتهم، هم ذاتهم الذين ينشرون التطرف والعنف في كل أرجاء العالم، لكن هذا كان الظاهر فقط حيث أن الحداثي لم يكن حداثياً بمعنى الكلمة، ولا التراثي تمسك بأصوله الفعلية. هذه الثنائية من أنماط البشر، خلّفت صراعاً حديثاً أدّى إلى انقلاب جذري، وتقسيم للرؤى الفكرية، بين رؤية تدعوا لاحتواء الحداثة وتقبّلها، ورؤية ثانية ترى بضرورة مساءلة الحداثة بكل معطياتها ومفززاتها.

هذا التصادم المعرفي بين الرؤى، أوجد مفكرين يتصدّرون حلبة الصراع القائم بين التأييد والمعارضة بين الحداثة كفعل، والعنف كردّة فعل، ليقف "طه عبد الرحمن" وقفة المتأمل والمتدبر، الفيلسوف الناقد، المشرح لتفاصيل الوضع العربي الراهن وليتجاوز هذا المأزق إلى حلول منطقية معقولة، ومنه وجب طرح إشكال يفرض نفسه في هذا الصدد مفاده: ما مصدر العنف عند "طه عبد الرحمن"، وما تداعياته على المجتمع الإسلامي في ظل تصاعد الخطر الحداثي، وكيف تجاوز ذلك؟

منطلق مفاهيمي:

ننطلق في معالجة سؤال العنف من معطيات ذات سياق لغوي ، حيث ثبت في المعاجم اللغوية بأنّه الخرق بالأمر، وقلة الرفق، أي هو ضد الرفق (منظور، 1956، صفحة 257) لذلك اعتبر العنف مفهوماً اشكالياً أثار قريحة الباحثين عبر العصور، لكونه مفهوماً يؤرق الإنسان، مقترن بالمظالم.

والمداول عُرِفَ أنّ الأشياء تعرف بأضدادها، ممّا يجعل هذا المصطلح يدخل خانة اللاتعريف، لتشعب معناه وتداخل صوره، ليدخل حيز التصنيف بين عنف مشروع، وعنّف لا مشروع، وعنّف معقول وعنّف غير مقبول (طه، ثغور المرباطة، 2008، صفحة 36) والمتقسي لمفهومية العنف يجد أنه مصطلح شائك، لكونه يدخل في مقارنة تشبيهية، وتداخل مفهومي مع عدة مصطلحات أخرى تقترب منه أحياناً، وتختلف عنه تارة أخرى، أهم هذه المصطلحات هي الثورة، العدوان، الإرهاب.. وغيرها

أ-العنف كثورة:

تعتبر الثورة مقولة انقلابية يتحول المجتمع من خلالها، من حالة استقرار إلى مرحلة أخرى من قلب النظام، ليحل محله نظام جديد (طه، ثغور المرباطة، 2008، صفحة ص198) أي أن العنف يقلب موازين الأنظمة، ويعبر عن حالة انعطاف الدول من حالة استقرار ونظام إلى حالة لا نظام، وحالة من التوتر والمشاحنات داخل المجتمع.

ب-العنف كإرهاب :

ربط "طه عبد الرحمان" العنف بالإرهاب من حيث أنه سلوك يعتمد على العنف للوصول إلى مطالبه،

كما أنه يرى أنّ الإرهاب يأخذ أشكالاً متنوعة تتعدد بتعدد المجالات الحياتية فهناك الإرهاب السياسي والاقتصادي، الظاهر و الخفي الذي لا يظهر، كما إرهاب فردي اختياري وآخر اضطراري (طه، 2013، صفحة 185) لكن مهما تغيرت أقدعة الإرهاب إلا أنها تخفي

وجها واحدا خلفها وهو العنف والأذى. خلافا لماكس فيبر، الذي يرى ان الدولة تمتلك الصلاحية في استعمال منطق القوة في تسيير أمورها.

ج-العنف كقوة:

اقترن مفهوم العنف مع العديد من الفلاسفة أمثال "ماكس فيبر" القوة ، فاستعمل كلمة Gewaltsamkeit, وهي كلمة ألمانية تجمع بين القوة والعنف. ضف إلى كونها مكونة من شقين: Gewalt وتعني الجبروت والبطش والظلم أما Samkeit فتعني المشروع.

يرفض "طه عبد الرحمان" هذا الطرح الذي يجمع بين القوة والعنف، لأن القوة هي مرتبة شرفية تحمل بين طياتها جانبا ايجابيا أيضا (طه ع.، 2017، صفحة 40) القوة سلاح ذو حدين تحمل بين طياتها الايجاب والسلب، قد تفيد القوة وتبني مجتمعا فاضلا، حيث أن الواقع التاريخي يثبت أن المجتمعات التي حكمت بمنطق القوة والدكتاتورية قد انهارت وسقطت .

د-العنف كجهل وظلم:

يؤكد "طه عبد الرحمان " أن العنف أذى ينشأ عن الظلم، وجهل الإنسان، لأنّ الإنسان العنيف له دوما أسبابه التي تظفي به لاختراق القوانين ، الحقوق، لذلك يمكن المجازفة بأن العقل في المجال التداولي يقابله الجهل، ومنه يكون الجهل مرادفا للعنف (طه ع.، 2017، صفحة 44)

2-مسوغات العنف من منظور طه عبد الرحمان:

من أهم تداعيات العنف الطاهائي هو خيانة المثقف العربي لدوره الحقيقي داخل الأمة، وانقسام المثقفين بين أصولي ، سلفي، جهادي، إصلاحي مشدود للماضي، وآخر فكري، ليبرالي اشتراكي قومي، هذا ما أدى إلى تشتيت المثقفين في العالم العربي، وتفاقم الفتن القبلية، فانقسموا إلى ثلاثة أقوام مختلفين في الآراء والمذاهب والمقاصد (طه ع.، ثغور المرابطة، 2008، صفحة 198)

فاختلفوا بين مؤيد للقتل باسم الدين ، إمّا من باب الجهاد في سبيل الله ، وإمّا بحجة دفع الفتن والحفاظ على استقرار الدولة وحفظ أمنها، كما أن هناك من يلتزم الصمت إمّا خوفاً على مصالحه أو من جرّاء شراء الضمائر والدمم،

يطلق عليهم "طه عبد الرحمن" بخونة الثقافة (طه ع.، ثغور المراقبة، 2008، صفحة 199) هذا الاختلاف الكبير أدّى لا محالة إلى انقسام في الأمة، وفعل شرخاً كبيراً على المستوى المفاهيمي لماهية العنف، فلا فرق في النتائج بين من يجيز العنف باسم الدين، وبين من استطاع الصمت خوفاً أو طمعاً، تعددت الأقنعة ووجه العنف واحد.

ولا يخفى على أحد من المتابعين لأسلوب "طه عبد الرحمن" بتمييزه بنحت مصطلحات خاصة به دون غيره، بعيداً عن الاستعارات من مجال تداولي لا يخصه، لذلك فقد اجترح توصيفاً لخيانة المثقف وأطلق عليه اسم "المثقف المنسلخ" فما المقصود بهذا المصطلح الجديد؟ هو مثقف لا يحمل على عاتقه مسؤولية تأدية الأمانة الثقافية، ولا يأمر بالمعروف، بل يتخاذل في اتخاذ القرارات المصيرية التي تواجه الأمة، لا يخوض غمار مواجهة المشكلات الحقيقية، ولا يبحث لها عن حلول، هو غير مسؤول، لا يكلف نفسه للدفاع عن القضايا الراهنة التي يعاني منها الإنسان العربي، بل نجده يشبه مثقف مجتمعاتنا اليوم يلهث خلف الأوسمة ليتصدر المشهد الإعلامي، ليشار إليه على أنه مثقف، لكن هذا لا يعفيه من كونه خائناً للقضايا العالقة داخل الأمة، وقلم أخرس عاجز عن النطق بالحق.

يؤكد طه عبد الرحمان أن خيانة المثقف لدوره الثقافي في ثلاثة أمور أساسية:

1 خيانة الثقافة (طه ع.، ثغور المراقبة، 2008، صفحة 199): حيث يتخاذل في مواقفه، والمحافظة على الأمانة التي أوكلت إليه كمثقف.

2 خيانة الإنسان -الآية: ساهم المثقف المنسلخ في تجريد الإنسان من هويته الانتمائية بسكوته عن أعمال القتل والعنف، حتى أن هناك من يؤيد ذلك.

3 خيانة المثقف للكائنات الأخرى: حيث أنه خان كل الموجودات، وانسلاخه من آيات الإنسان التكوينية والتكليفية (طه ع.، ثغور المرباطة، 2008، صفحة 200) هذا ما يدعوا لضرورة خلق مثقف جديد يدرك بوعي أهمية دوره في الحياة، كإنسان عالمي كوني، كما تتميز نظرة المثقف المنسلخ بكونها تحمل رؤية ذات حدود ضيقة، وحاجبة للحقيقة، عاجزة عن إدراك ماهية القيم من "حق وملك وعدل" (طه ع.، ثغور المرباطة، 2008، صفحة 200) بسبب حب حيازة المناصب واعتلاء الكراسي، واتخاذهم لكل السبل المشروعة وغير المشروعة، والتي أدت بطبيعة الحال إلى استفحال الصراع، وإجاعة العنف والقتل، مما استوجب بالضرورة ظهور مثقف جديد يتمثل في المثقف المرباط.

وهو مثقف يختلف تماما عن المنسلخ، تكمن مهمته في إصلاح المعتقدات والذهنيات التي يؤمن بها المثقف المنسلخ، الذي تخلى عن مبادئه وأجاز مشروعية العنف وكل الطرق للوصول إلى غاياته، وعليه فتمحورت مهمته بالقيام بعملية قلب جذري في الرؤية الوجودية للعالم (طه ع.، ثغور المرباطة، 2008، صفحة 201) وتجاوز الرؤية الاختزالية والغائية التي هيمنت على ذهنية المثقف المنسلخ.

وتعتبر هذه الرؤية الجديدة التي طرحها "طه عبد الرحمان" دعوة صريحة لكسر الأفق الضبابي، وطمس النظرة السوداوية التي طفت على السطح الاعتقادي للمثقف المنسلخ، وسماها "الرؤية الائتمانية" (طه ع.، ثغور المرباطة، 2008، صفحة 201)، والتي تضع المثقف أمام عقل وأمانة وحيازته لمنظومة قيم من "عدالة، وحق وحرية" وتجعل معقولية الأشياء تتجلى في مدى ائتمانية الإنسان عليها (طه ع.، ثغور المرباطة، 2008، صفحة 201)

حيثما وجد العنف اختفت كل سبل الحوار وتوارت تدليلات العقل وحجته في إرساء السلام، أي أنه لا عقل خلف العنف، ولا عنف خلف العقل بل تجمعهما علاقة ضدية قطعية.

أما عن الائتمانية: فهي فكر أخلاقي يشمل الأفعال والسلوكات الإنسانية دون استثناء (طه ع.، 2017، صفحة 44) وهي مقولة جوهرية في فكر "طه عبد الرحمن" تقابل العلمانية

، حيث أن الانتماني ينطلق من فرضية الغاية التي وجد من أجلها الإنسان، ألا وهي التعبد لله تعالى وحده دون غيره، في حين أن العلماني ترتكز معتقداته على أنه سيد لنفسه، يمتلك إرادة (طه ع.، روح الدين، 2021، صفحة 497)

3- مصدر العنف عند طه عبد الرحمان:

يعتبر العنف من منظور الفكر الانتماني مقولة أخلاقية، تخص الإنسان دون غيره من الكائنات الحية الأخرى، يتجاوز المفهوم الفلسفي للأخلاق على اعتبار أن الإسلام هو دين عالمي، بالعودة إلى أول حادثة عنف في تاريخ البشرية والمتمثلة في القتل القابلي. فرغم البعد الزمني للقتل القابلي، إلا أنه يظل درساً إنسانياً يفتح أفق التفكير في الطبيعة العامة للعنف، وعدسة ثاقبة لتصوير علاقة العنف بالإنسان، كرابط أزلي وفطري، وكأنه ملازم للإنسان منذ ظهوره على سطح الأرض، هذه العلاقة المخيفة تجعلنا نتوقف ملياً للتفكير في تجذر العنف، وتوغله في الطبيعة الإنسانية، وكيفية تجاوزه، لذلك توغل الفيلسوف بالعودة في كل مرة إلى آثار العنف وتشريح طبيعته .

أولاً: ارتباط هذا المقتل بأصل التشريع، حيث ساهمت قصة هابيل وقابيل بتنزيل التشريع الإسلامي، ووضع القوانين بكل ما يترتب عليه، لأن كل جرم يلازمه فراغ قانوني (طه ع.، روح الدين، 2021، صفحة 44)

أمّا الأثر الثاني: هو أنّ قتل نفس واحدة تعادل قتل عدّة نفوس (طه ع.، روح الدين، 2021، صفحة 44) لأن القاتل يعتمد سلخ الإنسان من وجوده عنوة، بل وكأنه يظهر في منازعة الخالق على وجود مخلوقاته، فالعنف هنا تجرد من ثوب الإنسانية والأدمية، وتتبع لطريق إبليس .

ثالثاً: حمل قابيل وزر القتل الأول، وتنسب إليه كل أفعال القتل (طه ع.، روح الدين، 2021، صفحة 45) هذا المنطلق ذو البعد الديني لاستنطاق ظاهرة العنف الإنساني يضعنا أمام

سؤال ما إذا كان العنف ظاهرة أصيلة وفطرية في الإنسان أم هي ظاهرة دخيلة، وعرضية طارئة؟

وبالعودة إلى حادث القتل القبيلي يكون العنف غريزة متأصلة ومتجذرة في طبيعة البشر، فهذا الشر يدخل في كينونة الإنسان، يشاركه التكوين والجوهر، فهو بالتالي أصيل غير دخيل عليه.

ولا يمكننا هنا أن نتفق كلية مع هذا الطرح للفيلسوف "طه عبد الرحمن" فإذا كان العنف يدخل في طبيعة الكائن البشري فلماذا هابيل لم يكن عنيفا هو أيضا، حتى وإن سلمنا بصدق فرضية أن القتل وجد لتبرير القانون، ولإظهار سنن القوانين التشريعية.

4- في مفهوم الحادثة من منظور طه عبد الرحمان:

لا يخفى على أحد أن تعريفات الحادثة شائكة، ومتعددة بتعدد المنشغلين والمفكرين بها، فهناك من اختصرها في كونها حقبة زمنية امتدت من الأقطار الغربية ثم انتشرت إلى كافة أقطار العالم، ومنهم من أرجع امتدادها إلى القرن السادس عشر بفضل حركات الإصلاح الديني مع "مارتن لوثر" سنة 1517، ورفضه لصكوك الغفران، ثم حركة التنوير، والثورة الفرنسية (طه ع.، روح الحادثة، 2006، صفحة 23) سنة 1789، وما رافقهما من اكتشافات في مجال الفلك والبيولوجيا.

ومنهم من اعتبرها نهضة للعقل ودعوة للتحرر، وأحيانا القطيعة مع التراث والدين، كما هي نزع القداسة عن العالم (طه ع.، روح الحادثة، 2006، صفحة 23) وإزاحة الفكر الأسطوري الملفوف بالهرطقة والخرافة عن العالم، قصد الانعتاق من قبضة الفكر الكهنوتي المظلم.

الحادثة التي ينظر إليها "طه عبد الرحمن" ليست بنقلها من زمانها وشكلها الغربي، ووضعها في قوالب عربية، وإنما ابداع طرائق تحديثية تتوافق ومقتضيات زماننا العربي، أي العمل على ابتكار حادثة تلائم قيم وأصالة المجتمعات العربية.

كل هذه التعريفات تصب في قالب مفاهيمي واحد، وهو محاولة التجديد والدعوة إلى التطور وتنصيب الإنسان سيذا على الطبيعة، أما "طه عبد الرحمن" فقد كانت له رؤية

مفهومية مغايرة حول هذه التعريفات المحاطة بالحدثة ،لكونهم جعلوا منها كائناً غرائبياً له مُطلقية التصرف بالأشياء، ومصير الكائنات الحية، تماماً كمطلقية الإله وقدرته على التحكم في كل الموجودات، لذلك يرى بأنّ هذا التوصيف الحدائي هو تصور غير حدائي، لكونه يعمل على إلغاء العقلانية وتنزيلها لمرتبة الوهمي (طه ع.، روح الحدثة، 2006، صفحة 24) حيثُ تَوَهَّم الإنسان الغربي بالحرية وسيادة العقل على الطبيعة، وكل ما فيها، بمجرد ابعاده للعقل الخرافي، وتغلبه على الألاعيب الكهنوتية ،ونزع تلك الهالة المقدسة والغامضة التي تحيط بالطبيعة مما جعلته سيداً عليهما ويعتقد بامتلاك مفاتيحها الكونية، لذلك وجب لزاماً على الفيلسوف تقديم رؤية جديدة، تقوم على تقويم النظرة القاصرة للحدثة.

5-الدعوة إلى حدثة جديدة بروح أصيلة:

من خلال أطروحاته يدعوا "طه عبد الرحمان" في كل مرة إلى ضرورة إبداع المسلم لمفاهيمه الخاصة به بعيداً عن التبعية والتورط في التقليد للمفاهيم الغربية، وذاك تحت شعار "إزالة الاعوجاج" (طه ع.، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، 2006، صفحة 137)، وهذا التقليد غير المدروس الذي يدفع بالمفكر الغربي للانسياق نحو حضارة الآخر دون تفكر أو تدبر في النتائج المرتبة عن ذاك، فتجده ينتقل بين ماديين أحياناً و بنيويين ،وتفكيكيين، وهذا ما جعل من محاولات اليقظة الفكرية الغربية معوجة أيضاً (طه ع.، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، 2006، صفحة 140) نتيجة اعوجاج الطريق الذي يسلكه المفكر، وتأجرحه بين المذاهب والمدارس الغربية مما يجعل الدعوة إلى الصحوة الغربية أمر مفروض وحتي.

أما أسباب الانسياق لهذا التقليد الأعشى، هو الميل والرغبة لكل جديد ونفورها من كل تراثي وقديم، كذلك يعود إلى الإحساس بالنقص اتجاه الغرب (طه ع.، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، 2006، صفحة 142) وللنظرة الدونية للذات، وتعظيمها لكل وافد غربي، هذا ما جعل الإنسان العربي اليوم يعيش قلقاً وارباكاً مفاهيمياً بسبب تراكمية المعارف الوافدة

إليه، ويعاني صراعا وجوديا بين تقبل المقولات الوافدة إليه من الغرب، وبين رفضها، فيؤرقه سؤال جوهري مفاده هل سيتقبل الإنسان العربي ويعتني الحداثة بكل حذافيرها، أو يقوم بغربلتها قصد أخذ بعض مما يتوافق ومقوماته الإسلامية، أو أن يرمم النقص الذي أصابه أولا بسبب الجهل والحروب.

تتخذ الحداثة عدة أشكالاً عديدة أهمها: التبعية الطوعية أو الاختيارية: حيث يسلم الإنسان مهمة اتخاذ القرارات لغيره بدلا عنه (طه ع.، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، 2006، صفحة 25)

وهناك التبعية الاستنساخية: حيث ينسخ طرائق ومذاهب غيره ويطبقها على واقعه المعرفي (طه ع.، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، 2006، صفحة 25) أي نسخ منهج غريب عنه وتطبيق نتائجه على واقعه المختلف

أما النوع الثالث فهو التبعية الآلية (طه ع.، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، 2006، صفحة 25): وهي لا تختلف عن سابقتها الاستنساخية من حيث انسياق الفرد لتطبيق مناهج تفكير مغايرة له وتطبيقها على سياقاته المعرفية .

6- المحاكمة الأخلاقية لسؤال الحداثة :

لا ينكر أحد أن المجتمعات الغربية قد حققت تقدما علميا وتقنيا لا نظير له في العصر الحديث والراهن، وعلى الرغم من ذلك فلقد تعرضت لهزات عنيفة وانزلاقات وانكسارات (طه ع.، نقد الحداثة، 2011، صفحة 134) وسرعان ما انكشف وجه الحداثة على أزمات عدّة تفضي بحتمية أفول أسطورة التحديث الغربي، لسيورها نحو المجهول، ولاسيما بعد الحربين العالميتين التي أغرقت معها الشعوب في المهالك والمظالم.

يرجع "طه عبد الرحمن" هذا الانحدار في الحداثة إلى الفراغ الروحي، وفقدان الوجهة الدينية، وابتعادها عن روح القيم (طه ع.، نقد الحداثة، 2011، صفحة 137) هذا الانعطاف الغربي للإنسان نحو العقل مفتقدا للجانب الأخلاقي، حيث يرى أن البديل الأخلاقي هو الحل للخروج والتوصل من هيمنة التفكير الغربي .

يتخذ الفيلسوف فصل الدين عن الحياة في ظل الحادثة منطلقا جوهريا في إرساء مشروعه النقدي، فضلا على أن التحديث له مبدآن ترتكزان عليه وهما : أولا العقلانية، ثانيا: العلمانية

فأما العقلانية : فالمقصود بها الأخذ بمقولات العقل باعتباره سلطانا للحكم على ظاهر وباطن الأشياء وصفتها هي الأخذ بسلطان العقل البشري دون الأخذ بالوحي الإلهي (طه ع.، الحوار أفقا للفكر، 2013، صفحة 97) إن الاحتكام واسناد كل الحقائق المعرفية إلى العقل التجريدي هو استنكار واقصاء لسلطة الوحي الإلهي يشكل خلافا معرفيا عند المسلم.

اما المبدأ الثاني وهو العلمانية: يرى فيلسوفنا أن هذا المصطلح قد التبس مفهومه بين العلمانية التي تفيد الأخذ بالعلم في كل الأمور، وهي الترجمة ذات المفهوم العربي، لكن المراد الحقيقي منها هو الإهتمام البالغ بأمور الدنيا دون أدنى اهتمام بأمور الآخرة (طه ع.، الحوار أفقا للفكر، 2013، صفحة 98) ومنه فالخلل الأساسي في العلمانية يكمن في تفضيل أمور الدنيا على حساب الحياة الآخرة، واعتبار أن الحياة الدنيوية هي خدمة للحياة الآخرة والعكس صحيح، حيث أن السعي للسفر بالآخرة لا يعني التخلي عن الحياة، بل طريق لتقويم وتحسين الحياة الدنيا. وهكذا حال المسلمين في تقديمهم الاهتمام بأمور الدنيا باعتبارها جسر عبور للآخرة بسلام، وجعلها خادما لحياتهم الدنيوية (طه ع.، الحوار أفقا للفكر، 2013، صفحة 99)

ولعل أهم الأسباب التي دفعت بالفيلسوف للتنبؤ لسؤال الأخلاق هو الواقع المأزوم المترتب عن الحادثة، بتغييها للجانب الأخلاقي، نتيجة التحولات المفصلية لانتشار حضارة اللوغوس ومفززاتها من مظالم وهيمنة للتقنية واللاعذالة، مما دفع الفيلسوف إلى ضرورة محاكمة الحادثة أخلاقيا .

لكن قبل هذا وجب التفريق في هذا المقام المعرفي بين الخلق والخلق استنادا للقرآن الكريم، وبناء على هذا يعرف "طه عبد الرحمان" الخلق بفتح الخاء بأنها تعني المخلوقات والناس، أما

لفظة الخُلُق بضم الخاء فتعني الخليقة، وتفيد الجمع بين الخلق والخلق تعود للآية الكريمة "لا تبديل لخلق الله" سورة الروم 130 وتعني هنا الفطرة أي مجموع المعاني الأخلاقية الماثونة في روح الإنسان، أو المكونة لروح الإنسان (طه ع..، الحوار أفقا للفكر، 2013، صفحة 100) حيث أن الأخلاق هي قيم متأصلة في كينونة الإنسان وجوهره وجزا لا يتجزأ من تكوينه. كما يتداخل مفهوم الأخلاق بمفهوم آخر يقترب منه ويختلف في ذات الوقت ألا وهو مصطلح القيم. ذلك أن القيمة تترجم Valeur وهو ثمن الشيء ومقداره، أما القيم في علم الأخلاق فيقترن بالخير والقيم المثالية، كما يتماهى ومفهوم الاستقامة والصالح (طه ع..، سؤال الأخلاق، 2000، صفحة 31) أما مصطلح ترجمة الأخلاق فقد ترجم الى Moral.

7-الحوارات يراق لكل خلاف ومرهم لترميم الجروح:

يتساءل "طه عبد الرحمن" عن إمكانية تطبيق آلية الحوار على عالم تتعدد فيه أوجه الإرهاب في ظل التفرد الحضاري، باعتبار أن التفرد خاصية تطرد الآخر، وتعمل على إقصاءه، وتلغي تواجده الأنطولوجي، وبالتالي هو عملية إلغاء غير مباشر لآلية الحوار (طه ع..، الحوار أفقا للفكر، 2013، صفحة 183) هذا الفسخ الحذر لتواجد الآخر يؤكد على ثنائية جدلية تفضي إلى أنه كلما وجد العنف والإرهاب غابت أبجديات الحوار، وتوارت معالمه، والعكس صحيح كلما وجدت ميكانيزمات الحوار تلاشى العنف.

لذلك يعلي الفيلسوف من شأن الحوار تحت شعار معمق المعنى "الحوار والحوار وحده ولاشي غير الحوار" (طه ع..، حوارات من أجل المستقبل، 2011، صفحة 8) وكأن لسان قوله يُفصح من غير تردد أنه لا شيء يوجد بعد الحوار، فهو المركز المشع الذي تدور حوله الحلول لهذا العنف المتجذر والمنتشر عبر العالم، بل والأكثر من ذلك وضعه الفيلسوف موازيا لمنزلة الحقيقة، وما أحوج مجتمعاتنا العربية اليوم إلى الحوار والحقيقة معا، لأن الحوار كتمارسة قولية خطابية هو الدعامة الأساسية التي يفترض أن ترتكز عليها الشعوب للنهوض بالأمم، لكون الحوار هو مفتاح الخروج من سراديب الصراعات والنزاعات المظلمة ليضعها على طاولات نقدية بعيدا عن الرؤية الضيقة والمتطرفة.

كما أن الحوار ليس بناء فوضوياً هتّاء، بل أرضية صلبة تخضع لشروط وأساسيات أهمها الاستماع للآخر، والاعتراف بالرأي المغاير، والانفتاح على كل الأفكار المناقضة له، لذلك فتكمن الفضائل العامة والأهمية القصوى لممارسة الحوارية في كونه عنواناً بارزاً لتقدم الأمة ووعيمها، ومع ذلك يمكننا حصرها في:

أولاً: أثبت الواقع اليومي، وكذا الدراسات البحثية أنّ وجود الحوار مقرون بوجود الاختلاف، لأن طريق الوصول إلى الحقائق ليس مُعبّداً، ولا يعرف الاستقرار والثبات، بل هو طريق متشعب، مما أدى إلى ظهور الحاجة لتفعيل الحوار (طه ع.)، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، (2000، صفحة 20) والحق ليس معطى جاهزاً، بل تتعدد طرقه وسبل الوصول إليه بتعدد المناهج والأفكار التي يتبنّاها المفكرين، وهذا الاختلاف في الطرائق هو الذي يخلق الحاجة الملحة لطرح الحوارات المعمّقة، والنقاشات الهادفة لتبيين المسلك الصحيح الذي يؤدي إلى الإمساك بالحقيقة.

ثانياً: إنّ مهمة الحوار تكمن في تذويب الجليد والأحقاد بين طرفي الحوار، حيث تعمل كل منهم إلى تبرير قناعاتها بالحجة والتدليل والبرهنة، حتى الانتهاء إلى نتيجة إنهاء الخلاف، بقبول الرأي الآخر والتسليم لمن هو أقوى حجة ودليلاً وهكذا فإذا سلمنا بأن الخلاف هو الداء الذي يفرق بين الناس، فإنّ الحوار يصبح بمثابة الدواء الشافي لكل الخلافات (طه ع.)، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، (2000، صفحة 21) يتجاوز الحوار كونه محادثات وتخطب قولي بين الأفراد، فإذا كانت الخلافات سمّاً ينخر جسد الأمم، فإنّ الحوار هو الترياق والمعقم لجروحها.

ثالثاً: يعمل الحوار على توسيع أفق الرؤية العقلية وتعميقها، لكونه ديناميكية قائمة على الجمع بين رؤية مزدوجة لطرفي الحوار، وذلك لن يتأتّى إلّا بالالتقاء على عقل حي كامل (طه ع.)، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، (2000، صفحة 21) ولأنّ العقل الذي يقف عن

عتبة الرؤية الأحادية هو عقل عاجز على التطلع لأراء الآخرين ، وبالتالي هو عقل منغلق ومكتف بذاته، متقوقع داخل فضاء واحد لا يتسع لفكر مغاير.

الحوار من هذا المنطلق المعرفي الطهائي يشكل ديناميكية فعالة ونسيج معرفي متماسك القصد منه ترقية الوعي البشري الغارق في المشاحنات والنزعات الكبرى.

خاتمة:

إن النموذج الذي عمل الفيلسوف على تحقيقه هو نموذج نظري له بعد تأسيسه، يطمح في إرساء دولة بمقومات إسلامية ، تقوم بالأساس على آلية الحوار، ونبذ خطاب الكراهية، لتكوين ملامح حوارية جادة وفتح أفق للتطلعات المستقبلية للإنسان، وفك النزاعات بطريقة واعية، فالأمم التي تضع مشكلاتها على مائدة الحوار هي أمم متحضرة تنفي التعصب والتطرف، لأن الفطرة الإنسانية بطبعها تميل إلى السلام والهدوء ،وتبغض كل أساليب العنف.

ينتقد "طه عبد الرحمن" النزعة الاستسلامية العربية للحدث، واعتبارها هرما ابداعيا متعاليا وفريدا ،دون محاولة التعاطي معها بروح مسلحة بالنقد، وذلك للحفاظ على الهوية التاريخية للشعوب الإسلامية، لذلك فهو لا يرفض الحدث من حيث المبدأ، لكن يرفضها من حيث طريقة الأخذ بها، والتعامل معها بحذر، حيث نأخذ منها ما يتوافق والمبادئ الإسلامية، والتقاليد العامة للأمم، أي يجب غربة كل ما هو وافد غربي دخيل، والتمسك بالهوية والأصالة، والابتعاد عن كل ما ليس عربيا أصيلا.

قائمة المصادر والمراجع:

- Jamal al-Din Ibn Manzur. (1956). Lisan al-Arab. Beirut: Beirut Publishing House.
- Abdel Rahman Taha. (2008). The Frontiers of Al-Murabitah (Vol. 1st ed.). Morocco: Maghreb Center for Studies.
- Abdel Rahman Taha. (2013). Dialogue: A Horizon for Thought. Beirut: Arab Network for Research and Publishing.
- Abdel Rahman Taha. (2000). The Question of Ethics (Vol. 1st ed.). Casablanca: Arab Cultural Center.
- Abdel Rahman Taha. (2000). On the Principles of Dialogue and the Renewal of Theology (Vol. 2nd ed.). Casablanca: Arab Cultural Center.
- Abdel Rahman Taha. (2006). The Arab Right to Philosophical Difference (Vol. 1st ed.). Casablanca: Arab Cultural Center.
- Abdel Rahman Taha. (2006). The Spirit of Modernity (Vol. 1st ed.). Casablanca: Arab Cultural Center.
- Abdel Rahman Taha. (2011). Dialogues for the Future (Vol. 1st ed.). Beirut: Arab Network for Research and Publishing.
- Abdul Rahman Taha. (2011). Critique of Modernity (Vol. 1st ed.). Lebanon: Jadawel Publishing and Distribution.
- Abdul Rahman Taha. (2017). The Question of Violence between Trusteeship and Dialogue (Vol. 1st ed.). Beirut: Arab Foundation for Thought and Creativity.
- Abdul Rahman Taha. (2021). The Spirit of Religion (Vol. 2nd ed.). Casablanca: National Center for Translation.